هذا في جميع الامور الصعبة وكان مسعاه دائما ناجحا لرزانته وشجاعته . ففي السابع والعشرين عندما ابتدأ المسير قاد الجاويش جماعته بثبات وصار يعدو بسرعة الى الامام صائحا كالمعتاد «سأنتقم لكم ! تقوا بي ! » والجنود تقع على يمينه وعلى يساره وأخيراً هو وقع تحت أقدام ملازمه الذي حاول يرفعه فشعر بدم ساخن يجري على يده فقال له الجاويش «قد انتهيت» بصوت منخفض فرد عليه الملازم « احفظ قواك يا جاويش سامبا » فبصق هذا الشهم الدم الذي كان يملأ فمه ثم قال والدموع ملء عينيه ملازمي ! بورت ارثور !

ومن قبل أن يتم جملته فارقته الحياة . فهل كان يريد ان يقول انه متأسف بان يموت قبل الهجوم العام على بورت ارثور أو كان يرجو والدموع ملء عينيه ان يقع ذلك الاستحكام بين ايدينا بغاية ما يمكن من السرعة ومهما كان فان شيئا واحدا كان محققا وهو ان هذا الوطني الصادق كان لا يفكر في شيء وقت مماته الا (بورت ارثور)

الفصل العشرون

محطة الاسعاف الطبية الاولى

كنت مشغولا في المناوشات التي حصلت على الارتفاعات الواقعة في الشمال الشرقي لتلول (هوانجتي) و(تشانجتون) حتى أنستني كل شيء سواها ولكني ابتدأت أن أفكر في صاحبي الطبيب (ياسوي) وهل نجا من جميع هذه الوقائع ففي مساء اليوم الثامن والعشرين عند ما كانت الغيوم الملبدة تتجمع

فى السماء كنت ماشيا بمفردى تحت شجر الصفصاف بجانب جدول صغير تحت (تابوشان) فسمعت صوت أحذية ضابط بجانبي فصرخت « الطبيب ياسوى ! » فأجاب « الملازم سا كورى ! هل أنت بصحة جيدة » ثم تصافحنا باليد وتناقشنا بخصوص الموقعة الاخيرة فشرح لى جميع ما حصل فى محطة الاسعاف الطبية الاولى وهو أنه كانت طلقات العدو فى أثناء الموقعة تقع مستمرة فى جوار مساكن الاهالى ومحطة الاسعاف الطبية الوقتية وكان الخطب عظيما ففى مرة دخلت قنبلة كبيرة من السقف وتفرقمت فى الحوش فتطاير عدد عظيم من الجنود الجرحى الكائنين به قطعا وتلطخت الحيطان والاعمدة بالدماء فكان ذلك منظراً مؤثراً فهؤلاء الرجال التعساء حاربوا ببسالة فى خط النار ثم التقطوا وحملوا للخلف بجراح شرف فقدر لهم أن يقتلوا فى غير ساحة الميدان فكانت مقذوفات العدو تتبع رجالنا البواسل أينما وجدوا وتقتلهم بدون رحمة

أما منظر محطة الاسعاف الاولى المخيف المحزن فلا يمكن التعبير عنه ولا يسع الانسان الا أن يقول أنها لجحيم وفى حالة ما يحمل رجل مجروح الى الوراء سواء كان ضابطا أو جنديا تعطيه الاطباء الاسعافات الاولى اللازمة وكلما ازدادت النيران فى خط النار ازدادت أيضا الجرحى بسرعة وتزداد حينئذ الواجبات على الاطباء ومساعديهم فبينما هم فى خدمة رجل يرون آخر يتنفس بصعوبة فاقدا لونه وفى وقت ما يعطونه بعض نقط روحية منعشة يمكن أن ثالثا تفارق روحه الحياة بدون اسعاف طبي لكثرة شغلهم بكثرة الجرحى حتى أن بعضهم كان يقول للطبيب « أجهز على فانى ميت لا محالة » ومن العجيب

أن الجرحى كلما سمعوا صوت المحاربين وهم فى مضاجعهم يتمنون أن يكونوا معهم وكان الاطباء يحسنون لهم بلطف البقاء لتداويهم من جراحهم وكان بعض المصابين فى أدمغتهم يعتريهم الجنون فيخاطبون الاطباء بألفاظ غير لائقة مثل قولهم « أنت روسى » مثلا وكانت نتيجة حركات هذه الجرحى أن يفقدوا كمية عظيمة من دمائهم ثم يغشى عليهم ويموتون أخيراً وبالجملة فان حمية الحرب تجعل للانسان روحا يمكنه أن يمشى بها حتى يجرى وهو جريح لا يشعر ولكن عند احضاره الى محطة الاسعاف الطبية على النقالة تزمجر اعصابه حالا من الالم والشواهد على ذلك كثيرة وكنت ممن حصل لهم ذلك فقد رقدت يومين فى الميدان ولم أشعر بألم جراح ولما أخذت الى محطة الاسعاف ابتدأت أشعر بألم شديد حتى انى فضلت انى كنت مت فى ميدان القتال

وبينما كانت هذه المحاربة فى اشتباك كانت اعلام الصليب الاحمر هنا وهناك تلتقط المجاريح فى الميدان فالجنود والبوليس الذين ماتوا فى الحال لم يلحقهم أى خدمة منها وأما الجرحى فانهم قدروها قدرها وعلموا فائدتها وحالما تبتدئ الواقعة يجول حاملو النقالات ويلتقطون الجرحى من المقدمة الى محطة الاسعاف الطبية ولا شك أن حاملى النقالات بسلاء كالمحاربين لانهم يؤدون واجبهم فى أوقات الخطر كالجنود المحاربة مقتسمين غذاءهم القليل وماءهم العزيز مع مرضاهم معتنين بهم كثيرا ومشجعينهم بقلوب مملوءة محبة فتعب حاملى النقالات هذا وواجبهم الشريف يستحقان منا شكراً عظيما

أما المرضى والجرحى الذين كانوا يرسلون الى الوطن كانوا يلبسون ملابس بيضاء مخدومين خدمة عظيمة من الاطباء والسيدات الممرضات وأنا

من الذين خدموا منهم باعتناء واخلاص فى الوطن المستشفيات بها كل شيء مطلوب والحال طبعا فى الميدان ليس مثله فى الاوطان وان الممرضين فى الميدان كانوا قليلين جداً حتى ان كل واحد منهم يخدم مائة من الجرحى الذين كانوا معرضين للنار الحامية نهاراً وللمطر والندى ليلا بدون غطاء وكانت الجرحى أحيانا بعد ما ترقد مدة فى الميدان تصير فى حالة لا يمكن وصفها فكانوا يجبرون على أن يغمروا فى جدول من الماء ويمسحوا بالفرشة قبل تضميد جراحهم وانما نتجت هذه الفظائع من خسائر المواقع الحربية الجسيمة أما هؤلاء الممرضون فكانوا يعتنون بالمرضى كثيرا ويرسلونهم بسرعة الى الخلف كى يعالجوا ويرجعوا الى صفوف المحاربين فى أقرب وقت وقد اجتمع الف جريح فى مستشفى معد لمائتين فقط ولذا كانوا غير قادرين أن يؤدوا واجباتهم أكثر مما صنعوه نحو هؤلاء الجرحى

الفصل الحادى والعشرون

بعد النصر

لما وقعت استحكامات (تايوشان) فى أيدى اليابانيين رغما عن منعتها الطبيعية وتحقق الروسيون اننا عدو لا يستهان به وكان خط الدفاع الاصلى خلفهم لم يفقدوا شجاعتهم بهزيمتين أو ثلاثة وتقهقروا الى ارتفاعات (كانتا شان) لعمل استحكامات جديدة هناك دفاعية محاولين أن يدافعوا مرة ثالثة وحين كانوا يسرعون فى انشاء الاستحكامات كنا نحن نريد